الافتتاحية

شاهدنا وشاهد مواطنو المملكةِ المشاريعَ العملاقة في الحرم المكيِّ الشريف التي افتتحها قائد مسيرة هذه البلاد، خادم الحرمينِ الشريفين، مشاريع كثيرة تفوق كلفتها بلايين الريالات. وتفنى البلايين وتبقى هذه المعالم للتاريخ، يزهو بها تاريخ الدولة السعودية على مر العصور؛ ذلك لأن المساحة التي سوف تعمر تربو على ما بُني قبلاً، وأصبحت المساحة شاملة للسابق واللاحق. وقد أعجبت بالكلمة التي ألقاها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة مكة المكرمة، أمير البيان، إذ عبّر عن ما يكنّه ضمير كل مواطن، وقد تميزت الكلمة ببلاغة فائقة، وبيان ساحر، وكل ذلك موجّه إلى هذا العمل الإنساني الذي كان الشغل الشاغل لدى مليكنا؛ إذ كان ولا يزال يتلمس حاجة البلاد، فأدخلنا في مرحلة جمع فيها جميع وسائل التقنيات التي تبرز العمارة الإسلامية في العصر الحديث. وإذا كان المسلمون قد أبدعوا على مرّ العصور في شتى أصقاع المعمورة، فإن مليكنا قد أدخل المملكة في عصر تباهي به الدول المتقدمة، من حيث إصراره على أن تصبح المملكة منارة تهفو إليها أفئدة العالم الإسلامي، لرؤية هذا الإنجاز والاستمتاع به. فترتفع الأكفُّ إلى السماء بأن يديم الله الصحة على خادم الحرمين الشريفين، ويلبسه لباس العافية وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب.

***

إذا كان تاريخنا القديم جعل هيئة اليونسكو تعترف بمفاخرنا في الحِجْر (مدائن صالح)، وبطولاتنا في الدرعية؛ فإن العالم، ولا شك، سيعترف بمنجزاتنا، كما اعترف هيرودت بحدائق بابل.

وها هي جزيرة العرب في جنوبيها وشماليها تؤكد أن بلادنا زاخرة بآثار موغلة في التاريخ، وليس أدلَّ على ذلك من ذلك الكشف الأثري الفريد؛ ففي موقع يعرف باسم المقر يقع بين محافظتي تثليث في منطقة عسير، ووادي الدواسر في منطقة الرياض عُثر على تماثيل لحيوانات متعددة استأنسها الإنسان الذي عاش في هذا الموقع، واستخدم بعضها الآخر في نشاطاته وحياته اليومية، ومن هذه الحيوانات: الضأن، والماعز، والنعام، والكلب السلوقي، والصقر، والخيل. وترجع هذه التماثيل إلى بضعة آلاف سنة، ويمثل هذا اكتشافاً أثرياً مهماً على المستوى العالمي، ما يؤكد أن الجزيرة العربية قد سبقت سواها في استئناس الخيل.

الخيل معشوقتك يا مليكنا كانت تجول وتصول شمالاً وجنوبًا، وانتقلت من الجزيرة العربية لتنقل عربات ملوك مصر، وتأخذ بألبابهم، ولا أدلَّ على ذلك مما عُثر عليه مؤخرًا وهو نص فرعوني في تيماء، يدلّ على أن تيماء كانت سوقًا عالمية، تأتي إليها جميع شعوب العالم لتأخذ من خيراتها؛ من بابل، وبلاد الشام وما ورائها من يونان ورومان، ومن مصر وما وراءها.

وانتقلت معها أداة مهمة، هي الحرف، الذي وصل إلى بلاد المغرب، ووصلت معه بعدئذ رسالة السماء، رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكما لقب أنباطنا في شمالي الجزيرة العربية ملكهم الحارث الرابع بالملك المحب لشعبه، فإن من حقنا أن نلقب مليكنا بالملك الذي أحبه شعبه، ففاز ولله الحمد برضا الله ورضا الناس.

أبقاك الله يا مليكنا ذخرًا لأمتك العربية والإسلامية بل وللعالم أجمع، لتسير على ما سار عليه أسلافك في مسيرة البناء والتشييد.

***

في صباح يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٤٣٢هـ/٢٩ يوليو ٢٠١١م انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور فواز الخريشا. وقد درس معي تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ونجح بامتياز، على قلة من ينجحون بهذا المعدل، واختار بعدئذ أن يكون طالبًا في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، يوم جاء من الأردن ليحصل على درجة البكالوريوس من الجامعة، ثم أكمل دراسته حتى حصل على درجة الدكتوراه في اللغات القديمة والآثار من ألمانيا، وعمل أستاذًا في عدة جامعات أردنية، حتى وصل إلى منصب عميد كلية الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك، ثم تولى منصب مدير عام دائرة الآثار الأردنية في الفترة ما بين سنتي ١٩٩٩ – ٢٠١٠م، ليعود إلى الجامعة والتدريس، ونسجل له في هيئة أدوماتو أن نشر بحثًا في المجلة وفاء للعهد، رحمه الله، رحمة واسعة، وأنزل السكينة والرحمة والرضوان عليه، ولأسرته الصبر والسلوان.

وفي أول رمضان ١٤٣٢هـ/الأول من أغسطس ٢٠١١م انتقل إلى رحمة مولاه الأستاذ هادي الفيفي. حصل هادي على درجة البكالوريوس في الآثار من قسم الآثار بجامعة الملك سعود، وكان له – رحمه الله – من اسمه نصيب فقد كان هادئًا دءوبًا مثابرًا في عمله، وقد أرسلته جامعة الملك سعود إلى ألمانيا ليتخصص في ترميم المعادن، ووُفّق في دراسته، وعاد ليعمل في تخصصه، ومن شدة انغماسه في عمله كنت أدخل معمله وأخرج من دون أن يحس بي!

وتمكن من معالجة الكثير من القطع الأثرية التي اكتشفت في قرية الفاو. ثم انتقل إلى منطقة عسير لوجود أسرته هناك، حيث عمل مديرًا للآثار بالمنطقة، وظل على دأبه ومثابرته، حتى فجع محبوه بوفاته، وهو لم يتجاوز الأربعينيات من عمره. رحمه الله رحمة واسعة، وأنزل عليه شآبيب رحمته وأسكنه فسيح جناته.

رحم الله فواز الخريشا، وهادي الفيفي، وجزاهما خير الجزاء عما قدما لأمتهما من خدمات في مجال تخصصهما، ونسأل الله أن يجعل ما قدماه في ميزان حسناتهما، أحسبهما كذلك ولا أزكيهما على الله، وأسأله أن يتغمدهما بواسع الرحمة والمغفرة.

***

أعد الدكتور عبدالرزاق أحمد المعمري. بحثًا بعنوان: (تحقيب دراسات ما قبل التاريخ في شبه

الجزيرة العربية)، ونشر البحث في مجلة الدارة (العدد الثالث، رجب ١٤٣١هـ، السنة السادسة والثلاثون) قسّم فيه دراسات ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية إلى ثلاث مراحل، ووضع مجلة أدوماتو واهتمامها بدراسات ما قبل التاريخ في المرحلة الثالثة، ومما جاء عن أدوماتو في البحث:

«تتميز هذه الفترة بدخول الألفية الثالثة الميلادية (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري)، وأحداثها الأولى الجسيمة، التي أنعكس أثرها على جوانب كثيرة، وعلى سير الدراسات الآثارية أيضاً، ومن علامات هذه الفترة المهمة اشتداد عصر العولمة، وأثره المباشر على حياة الناس، وقد لامس بصورة، أو بأخرى، الدراسات الآثارية، إضافة إلى ظهور مجلة (أدوماتو) (Adumatu) المتخصصة في نشر البحوث الآثارية، الخاصة بآثار شبه الجزيرة العربية، والوطن العربي عامة، ويمكن إفراد هذه الفترة في مرحلة رابعة جديدة».

أمَّا المسوغات التي دعت الباحث إلى الأخذ بمجلة (أدوماتو)، بوصفها سمة من سمات هذه الفترة، فهي: «ظهورها في مستهل الألفية الميلادية الثالثة (العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري)، وتخصصها بالدراسات الآثارية الخاصة بآثار شبه الجزيرة العربية، والوطن العربي عامة، وانتماؤها إلى الآثاريين في العالم عامة، الذين يكتبون عن آثار هذه المنطقة، إلى جانب ظهور دراسات فيها متخصصة عن العصور الحجرية، وباللغة العربية، وكذلك إلى جانب ما وجد منها باللغة الإنجليزية وانتقالها من المستوى المحلي إلى المستويين العربي والعالمي، إضافة إلى دورها العملي في إيجاد حوار حقيقي بين الحضارات، من خلال تخاطب الباحثين على صفحاتها عبر نتاجهم العلمي في الجوانب الأثرية.

وقد تكون مجلة أدوماتو من المميزات الأساسية في الدراسات الآثارية في الوطن العربي عامة، وشبه الجزيرة العربية خاصة، في المرحلة المعاصرة، إذا طُوِّرت هذه المجلة أكثر مما هي عليه اليوم، وحظيت بقدر أوفر من الرعاية، أيضًا. فقد استحوذت في وقت وجيز على اهتمام علمي محلي ودولي كبيرين لأسباب كثيرة.

ومن أسباب شهرة مجلة أدوماتو، أيضًا: عدم وجود وعاء آخر متخصص في الجوانب الأثرية، منافساً حقيقياً لها حتى الآن، ولأنها تصدر كما سلف الذكر ، باللغتين العربية والإنجليزية، ولأنها ظهرت كذلك في وقت كانت البحوث الآثارية المحلية بحاجة إلى ظهور مثل هذا الوعاء، كما أن هذه الظهور تزامن مع الأحداث العالمية الجسيمة، علاوة على أنها تبنت أنشطة علمية أخرى، لم تتبنها باقي المجلات الأخرى، في الغالب، ومنها إقامة ندوتها الأولى التي عُقدت بمدينة الجوف في شمالي شبه الجزيرة، في عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، عن نشأة المدينة في الوطن العربي وتطورها، وهي تحضّر الآن لإقامة ندوتها الثانية، كذلك عن الإنسان والبيئة، إضافة إلى المكانة العلمية لرئيس تحريرها، والتي عكست نفسها على شهرة هذه المجلة والثقة بها».

رئيس هيئة التحرير